دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

الكتاب المقدس

رسالة شخصية لك

الأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

الكتاب المقدس

رسـالة شـخصية لك

الأب متى المسكين

كتاب : الكتاب المقدس رسالة شخصية لك
المؤلف : الأب متى المسكين
الطبعة الأولى : ١٩٧٥م.
الطبعة الثانية : ١٩٨٧م.
مطبعة دير القديس أنبا مقار — وادي النطرون

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٨٧/٢٢٧٤ .
الترقيم الدولي : ٨ — ٠٦٧ — ٤٤٨ — ٩٧٧ .

— ١ —

هل دراسة الكتاب المقدس تُقدِّس؟

□+□+□

على مدى العصور علمنا علم اليقين أن كل الذين وهبوا حياتهم لدراسة الكتاب المقدس دراسة **خاصة للنفس** بتأمل وصلاة واتضاع، انطبع الكتاب المقدس على حياتهم وأقوالهم وأفكارهم وسلوكهم، وبقيت سيرتهم مدى التاريخ نوراً وبركة للعالم كله!! فما هو سر ذلك؟ وكيف ندخل هذا المجال الآمن المضمون لتقديس الحياة؟؟

أبتدىء معك أيها القارىء من أول لحظة انفتح فيها هذا الينبوع السري للتقديس، حيث أشعل المسيح بصلاته التوسلية لدى الآب (في إنجيل يوحنا أصحاح ١٧) نقطة الإبتداء فأنار الطريق كله لدى بني سرِّه، السائرين على طريق الخلاص: «لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن **تحفظهم من الشرير**، ليسوا من العالم كما أني أنا لستُ من العالم: **قدِّسْهم في حقك، كلامك هو حقٌّ**.» (يو١٧: ١٥—١٧)

هذا هو منهج القداسة الواضح الصريح المبسَّط الذي افتتحه المسيح بهذا التوسل لدى الآب، لتكون «**الكلمة**» **واسطة التقديس** الذي يعمل بها الروح القدس في نفس كل مَن تتلمذ للرب على مدى الدهور!

كل مَن اكتشف هذا الطريق: الكتاب المقدس، وسار فيه، انسكبت فيه قداسة المسيح بكل هدوء بواسطة **الكلمة** («**روح وحياة**» يو٦: ٦٣)، «لأجلهم

أقدّس أنا ذاتي ليكونوا هم أيضاً مقدّسين في الحق» (يو١٧ : ١٩). المسيح هنا ينضح من قداسته التي أكملها وأعلنها في تجسده بكل ملئها لتكون منبعاً لنا لا ينضب إلى الأبد من خلال **الكلمة (أي الحق)**. هنا يقرن المسيح بصورة سرية للغاية بين تقديس كلمة الآب في الكتاب المقدس «قدّسهم في حقك، كلامك هو حق» وبين التقديس المنقول لنا كتركة ــ أي ميراث بلا جهد ــ من تجسده وحياته الشخصية «**لأجلهم أقدّس أنا ذاتي** ليكونوا هم أيضاً مقدّسين في الحق».

هكذا يتضح لنا الكتاب المقدس كواسطة تقديس ذي فعلين: **الفعل الأول** كلمة الآب في الكتاب التي عبَّر عنها أنها «الحق»، **والفعل الثاني** حياة المسيح المستترة في الإنجيل التي عبَّر عنها أنها «**ذاته**».

وواضح جداً من سياق هذه الصلاة العميقة (يو١٧) أن المسيح يفرِّق بين «**ذاته**» وبين «كلام الآب» الذي يقرنه في موضع سابق من هذه الصلاة، أي يقرن «**كلام الآب**» بإعلان **اسم الآب** «أنا أظهرتُ **اسمك** للناس... وقد حفظوا **كلامك**» (عدد ٦)، وبهذا يتضح أن المسيح يركِّز بكل وضوح على الكلمة باعتبارها كشفاً لسر الآب واسمه، أي علاقة الله بالناس كآب، من خلال أو بواسطة استعلان الإبن.

وهكذا أصبحت كل قراءة للكتاب بتقوى وخشوع وتعبُّدٍ وقلب مفتوح مصدرَ انسكاب سرِّي للتقديس بواسطة الآب والإبن الذي يتغلغل الفكر والضمير والشعور والإرادة والسلوك يوماً فيوماً لبناء النفس بناءً جديداً يلتحم مع المسيح في شركة سرية مع الله، غير مدرَكة، كعِشْرة حياة بواسطة الكتاب المقدس أقرب ما تكون إلى عِشْرة زوجين متحابين حباً أبدياً!!

هكذا كل مَن يقرأ الكتاب المقدس بعهديه بوعي وقلب مفتوح، يدخل شيئاً

فشيئاً في سر الآب عن طريق إعلان المسيح حيث يصبح كلام المسيح مدخلاً لسر الآب للحفظ والتقديس. لأنَّ مِنْ « **كلام الآب** » الذي عبَّر عنه المسيح أنه « **حق** »: « كلامك هو حق »، يتقبَّل القارىء اسم الآب ــ أي شخصه ــ كحق حافظ ومعين ومقدِّس: «أيها الآب **القدوس احفظهم في اسمك** »، ومن شخص المسيح يتقبل القارىء تقديس ذات المسيح « **أُقدِّس أنا ذاتي ليكونوا** مقدسين » .

وكيف ذلك؟...

فهل قراءة العهد القديم، حتى سفر التكوين مثلاً أو اللاويين أو الملوك أو الأنبياء، تقدِّس الإنسان باعتبارها « **حق** » ؟

هنا يلزمنا أن نفتح أمام القارىء منهجاً سريًّا لقراءة العهد القديم يوصِّله بالفعل إلى حالة **تقديس** . ولكن هنا أيضاً يلزمنا أن نفرِّق أمام ذهن القارىء بين قراءتين هامتين للكتاب المقدس:

الأولى: قراءة موضوعية حيث يستغرق ذهن القارىء في معاني الآيات والكلمات، وشرح ذلك على مستوى التاريخ والجيولوجيا وتاريخ الطبيعة والجغرافيا وعلم الإنسان والنبات، كلها في الكشف والتعبير عن الحق العام وبالتالي عن الله في حكمته وعلمه وقدرته الفائقة، وهنا يتصدى لهذه القراءة ــ أي القراءة الموضوعية بعلومها، علوم أخرى نقدية بعضها على مستوى الكتاب المقدس قائمة على بحوث علمية جريئة تمزق وحدة الكتاب المقدس وأصالته تمزيقاً، وبعضها ضد الكتاب المقدس، أي إلحادية صِرْف، وهذه تسفِّه من الكتاب وتحطُّ من قيمته وتشكك في صدقه بل وفي وجود أي حق على الإطلاق غير المادة الجامدة كأصل ومنبع كل شيء!!

وهنا يدور الصدام بلا هوادة بين العلوم الإيجابية للكتاب المقدس بحججها المشبعة اللذيذة و بين العلوم النقدية بدقتها العقلية والعلمية الباهرة والمزيفة أحياناً دون أية بارقة أمل للوصول إلى نتيجة حاسمة ودون أن يتنازل كلٌّ من الفريقين عن موقفه قيد أنملة. وكل مَن دخل هذه المعركة خرج مصدَّع الرأس ممزق الفكر موزع الضمير وكأنه نجم تاه عن فَلَكِه. هذه هي القراءة الموضوعية للكتاب المقدس! وهي لا تخلو من نفع ولكنها يستحيل أن تبني النفس والإيمان.

القراءة الثانية:

وهي القراءة الشخصية، أي أن يقرأ الإنسان وكأن الكلام يخصه هو ويخص حياته! بإيجابية سهلة وفكر يستلهم الحق من وراء كل آية، لا الحق العام الموضوعي بل الحق الخاص الذي يخاطب ضميره و يكشف الباطل المختبيء في أعماق ضميره وسلوكه.

فمثلاً بينما القارىء الموضوعي منشغل أشد الإنشغال ومنفعل أشد الإنفعال في معنى النور (تك ١: ٣و٤)، ثم بعد خلقة النور يعود الكتاب فيقول أن الله فصل بين النور والظلمة، وهنا يحتار و يرتبك: وهل هذا يجوز وكيف يمكن؟ و يستغيث العقل بالمنطق والعلوم والفلك، وهيهات... نقول و بينما القارىء الموضوعي مشتت الفكر وممزق العقل والضمير؛ نجد القارىء الذي يقرأه قراءة شخصية بحثاً عن الحق، لا الحق العام في ذاته بل الحق الذي ينير الطريق أمامه معتبراً «كلام الآب» هو عديل اسمه للحفظ والتقديس باستعلان سر المسيح داخل الإنسان لا خارجه! يبدأ يتأمل في النور الذي قال الله عنه «ليكن نور» كيف أن هذا النور بعينه خلقه الله في قلب الإنسان عامة، وهو مصدر المعرفة والإلهام والحياة لكل بني الإنسان، مع أن الظلمة لا تزال أيضاً تغشى قلب الإنسان كما يغشاه النور، والصراع بينهما مستمر.

ولكن بتأمل الإنسان لحظة كيف نجح الله بالفعل في الفصل بين النور والظلمة في قلب الإنسان وحسم هذا الصراع الأبدي (بمجيء الرب يسوع)، ينتقل المعنى في الحال من الحق العام إلى الحق الذي يخص قداسة الإنسان في الصميم ويخص خلاصه وحياته ومستقبله وكل سعادته. وإن مجرد الوقوف عند هذا التأمل فترة، كفيلٌ أن يوقظ النفس على حقيقتها. وهكذا تتحول قراءة كلمات العهد القديم أو العهد الجديد على السواء إلى وعي روحي عملي يزداد يوماً بعد يوم حتى يبلغ إلى حالة تقديس: «قدّسهم في حقك. كلامك هو حقٌّ».

يلاحَظ هنا في هذا التأمل بخصوص وجود النور والظلمة والفصل بينهما أن مجيء المسيح إلى العالم بصفته «النور الحقيقي» الذي لم تستطع الظلمة أن تدركه (هذا المجيء هو العهد الجديد)، هو الذي شرح لنا المعنى السري في وجود النور بعد الظلمة في العهد القديم، ثم شرح لنا المعنى الأكثر تعقيداً وصعوبة في إمكانية الفصل بين النور والظلمة في سفر التكوين إنما على مستوى روحي سري.

هكذا بهدوء وعمق، يقف الإنسان عند شرح الآية الأولى من الأصحاح الأول لسفر التكوين، ويسأل: وهل فعلاً قال الله في نفسي: «ليكن نور»؟ وهل فصل الله فعلاً بين النور والظلمة في أعماقي؟

هنا القراءة تتغلغل ضمير الإنسان، وكلمة الله تكشف وتدين وتصحح وتقدّس. ولا نغالي إذا قلنا أن حصيلة التأمل الشخصي في هذه الآية وغيرها بهذه الطريقة، كفيل أن يغير حياة الإنسان في مدة وجيزة لا يتصورها العقل.

هذا هو معنى قول المسيح في صلاته مخاطباً الآب «كلامك هو حق». أي أن الكتاب ينطق في داخل الإنسان بالحق ويقوده إلى الحق ويثبّته في الحق ثم ينميه في الحق!! وهذا هو ـ بالنهاية ـ «**قدّسهم في حقك، كلامك هو حق**».

يلاحَظ أن المسيح قال هذا، كخطاب الوداع لتلاميذه قبل الصلب مباشرة، فهو هنا يستودعنا سرًّا من أعمق أسرار عمله الخلاصي، وهو ينبهنا إلى أهمية « **كلام الآب** » الذي اضطلع المسيح بشرحه وإعلانه ليكون واسطة لتقديس الإنسان.

فتجسُّد المسيح وحياته وكلامه وأعماله والفداء الذي أكمله (العهد الجديد) هو تكميل وإعلان « كلام الآب » و « اسم الآب » (الذي ظهر بميلاد الإبن) لتقديس الإنسان!

المسيح هنا يجعل من كلامه وكلام الآب وحدة في الحق لتمجيد الآب والإبن لتقديس الإنسان، تماماً كما يجعل من اسمه (**الإبن** الوحيد) إعلاناً وتمجيداً لإسم الله **الآب** الذي به يحفظ الإنسان من الشرير (هنا استعلان سر الثالوث صار قوة ضاربة لسلطان الشرير). المسيح يركِّز في خطابه الوداعي على « الكلمة » و « **الإسم** » كقوتين قادرتين على حفظ الإنسان وتقديسه: كلمة الآب التي استُعلنت بكلمة الإبن، الكتاب المقدس ككلٍّ بعهديه القديم والجديد، كلام المسيح الذي هو روح وحياة؛ واسم الآب الذي استُعلن باسم الإبن حتى يصيرا للإنسان مصدراً ثابتاً « للتقديس »، و « **للحفظ** من الشرير » بل وللإتحاد معاً **في الآب والإبن** حسب صلاة المسيح للآب.

إذن، فوصايا الله على مدى الكتاب وعلى ضوء استعلان شخص المسيح لم تُعطَ على مدى العصور للبحث والدراسة في حد ذاتها. فالبحث الموضوعي المطلق والدراسة الموضوعية بعيداً عن حالة الشخص القارىء نفسه تُباعدان جداً بين قصد الله من الكتاب كله وبين القارىء: قصد الله أن تكون وصاياه وكلماته « **حقاً** » كاشفاً لضمير الإنسان، ثم حقاً مبكتاً، ثم حقاً موجِّهاً وبانياً ومضيئاً لطريق الإنسان: « سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي!! » (مز١١٩: ١٠٥)

وكيف ذلك؟...

كلام الله و وصاياه ليست تسجيلاً زمنياً أو تاريخياً لحوادث أو استعلانات تمت ولم يعد لها نفع في واقعنا اليوم؛ بل هي بحد ذاتها ــ أي كلام الله ووصاياه بأي صورة وفي أي سفر ــ إنما هي تحوي أهم ما تحوي **استعلاناً لله ذاته!**: استعلان مشيئته، استعلان رضاه، استعلان حبه، ثم استعلان قضائه ودينونته!

واستعلان الله بهذه الصورة المسجَّلة في الكتاب يحوي قوة كامنة، يحوي روحاً وحياة «الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة» (يو٦: ٦٣)، هو بحد ذاته يعمل ككشاف ماهر لأعماق أفكار الانسان ونياته، وهو بشبه المقياس يقيس مقدار انحراف الإنسان عن الحق، عن الأمانة، عن الشرف، عن الطهارة، عن المحبة وله سلطان الردع في الضمير، لذلك فهو قادر على إعادة التفكير وتصحيح المسار بقوة حادة قاصمة لا تعانَد «صعبٌ عليك أن تَرْفُس مناخس» (أع٩: ٥) (أي: «صعبٌ عليك أن ترفس نِصْل السكين»)!!

وهكذا أصبحت قراءة الكتاب المقدس بمنهج الوعي المفتوح للحق الكائن في الكلمة في أي سفر هو بحد ذاته نوراً كشّافاً يكشف أقصى خبايا النفس، نور استعلان الآب نفسه والإبن داخل النفس، وهو قادر في الحال على التبكيت على كل خطية وعلى الإحساس بالدينونة.

لذلك أصبح الكتاب المقدس هو الحق الوحيد الثابت والمؤكد والمسجل بروح الله لكشف عِلاَّت النفس وأوجاعها، وردعها حتى إلى أعمق انحرافات اللاشعور.

لذلك، لولا الكتاب المقدس الذي حفظ الحق الإلهي مسجَّلاً بكل حركته وفاعليته «روح وحياة»، ما استطاع إنسان أن يكتشف خطيئة أو برًّا أو يستقر في أعماق نفسه إلى حقيقة نفسه بحضرة الله، أو استطاع أحد أن يبني حياته وفق مشيئة

الله بنـاءاً صحيحاً، و يثبت في النعمة ثبوتاً دائماً أكيداً كمَن دخل في الحق الإلهي لميراث أبدي: «والآن أستودعكم يا إخوتي لله ولكلمة نعمته القادرة أن تبنيكم وتعطيكم ميراثاً مع جميع المقدَّسين.» (أع ٢٠: ٣٢)

لأن الكتاب نفسه الذي يبكِّتنا على كل خطية ودينونة يسجل لنا تسجيلاً حيًّا لحب الله من نحونا في شخص يسوع المسيح، و يسجل لنا كيف أتم خلاصنا وفداءنا وكيف تبنَّانا وسكب روحه فينا، وهكذا كما يلقي في قلبنا بذرة الدينونة للتبكيت والندامة، يلقي في قلبنا بذرة نعمته برجاء الخلاص للحياة الأبدية.

لذلك يستحيل أن نصل إلى **معرفة صحيحة** للخلاص الذي ورثناه في شخص يسوع المسيح بدون **كشف صحيح ودائم** لحالة النفس في الداخل. ثم يستحيل هذا وذاك، أي كشف النفس بصورة دائمة وقبول الخلاص الأبدي، **بدون الكتاب المقدس** أي بدون قراءة واعية دائبة مستمرة لإستقبال «حق» الآب «**وقداسة**» الإبن الذي في الأسفار المقدسة لبناء النفس بناءاً صحيحاً.

أكتب هذا، لأن في هذه الآونة تنتشر حركة في أنحاء العالم كله تعتمد على الإتصال المباشر بالروح القدس بدون الإهتمام الكافي بالكتاب المقدس كمصدر ثابت لحياة النفس كغذاء ودواء و بناء «**قدِّسهم في حقك، كلامك هو حق**» (يو١٧: ١٧)، بدون «الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة» (يو٦: ٦٣)، بدون «أنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة (العهد القديم) القادرة أن تحكِّمك (أي تعطيك حكمة) للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع. كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر، لكي يكون إنسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح.» (٢تي٣: ١٥ــ١٧)

رأيت وسمعت قوماً منهم يتكلمون عن الروح القدس وأثره فيهم بحرارة وانفعال

وتهليل وصلاة، وكيف تغيرت حياتهم وصاروا صالحين وأصحاب مواهب، ثم انذهلتُ عندما علمت أنهم لا يقرأون الكتاب المقدس للحفظ والتأمل اليومي، ومعرفتهم بالعهد القديم منعدمة ودرايتهم بالعهد الجديد ضئيلة كل الضآلة، يعتمدون على الترتيل والتهليل لإنعاش حياتهم، ولكن في داخلهم فراغ مخيف ينذر بنكسة وشيكة بسبب غياب الكتاب المقدس كمصدر حي وفعال لبناء حياتهم «**وحفظهم من الشرير**».

إن أحْوَج إنسان للكتاب المقدس، بل وأقدر إنسان على الإكتساب منه هو الإنسان الذي دخل مجال التوبة، وابتدأ عمل الروح يظهر في حياته! لأن الثمر الذي سوف يجنيه من كلمة الله يصير حصيلة هائلة للشهادة للمسيح بل ولحماية الإنجيل ذاته من خلال بنائه اليومي لحياته هو، وتدقيقه في سلوكه وتصحيحه لأفكاره وتصوراته.

— ٢ —

الكتاب المقدس رسالة شخصية

□❁□❁□

توجد كتب علمية وتاريخية وأدبية تبحث عن الحق أو الحقيقة في كل صورها داخل الإنسان وخارجه، وتلقي أضواءً على المعرفة بكل أنواعها فيما يخص الإنسان أو الحقيقة كلها، وهذه تناسب عقل الإنسان وتهدف إلى صحة جسده وتزيد من إدراكه وتُغني من تراثه الفكري والحضاري.

ولكن الكتاب المقدس ليس كذلك، ولا ينبغي أن ندخل إليه من هذا المدخل، كما سبق وقلنا في الفصل السابق(١). فالكتاب المقدس رسالة شخصية من الله للإنسان مباشرة تهدف إلى خلاصه والإرتقاء بروحه لتُعِدَّهُ للحياة الفُضلى، أي للحياة الأبدية.

وفي هذه الرسالة يوضح الله نفسه للإنسان بصورة شخصية خاصة جداً يكشف فيها عن قدراته الفائقة لتُضاف إلى ضعف الإنسان، وعن حبه الفائق ليمتلىء به في قلبه، وعن قداسته ليلبسها فيستر بها عريه، وعن إمكانياته الهائلة في الصفح والغفران والغسل والتطهير للدخول في حياة بنوّة جديدة لله ليرتاح ضمير الإنسان بهذا الرجاء. ثم من خلال هذا الكشف العميق عن هذه الصفات الإلهية الفعالة المحيية للإنسان يدعو الله الإنسان و يُهيِّئه للدخول معه في شركة حياة صادقة طاهرة، فلا يعود الإنسان تائهاً يتلمس الخلاص بعقله وإمكانياته.

(١) «هل دراسة الكتاب المقدس تُقدّس؟» صفحة ٣.

والشركة التي يدعو إليها الله ليست وهمية ولا هي بالكلام القائم على الإقناع البشري، بل أسَّسها المسيح بدمه. إنها شركة تقوم على العطاء والأخذ: الله فيها يعطي روحه، يعطي دمه، يعطي نفسه من خلال عطاياه ومواهبه؛ والإنسان يأخذ ليزداد ارتفاعاً فوق نفسه وتزداد إمكانياته في استيعاب أمور فائقة على إمكانياته، لأن هذا من صميم طبيعة عطايا القدير.

ولكن أعجب ما في هذه الشركة أن عطاء الله لا يتوقف على أخذ الإنسان، فالله يعطي مواهبه بالروح بلا حدود، بلا كيل ولا ميزان، حسب سخاء طبيعته الفائقة. لذلك أصبح الجهد كله متوقفاً على قدرة الإنسان في التصديق، ثم الأخذ، ثم الإستيعاب.

بهذا تنكشف وتتجدد طبيعة الكتاب المقدس أمامك أيها القارىء، فأنت حينما تقرب الكتاب المقدس لا ككتاب معرفة وعلم إنما كرسالة من الله لك شخصياً، كصك ميراث به حقوق مختومة بعهد الله، فلن تعود مجرد قارىء بل آخذاً و وارثاً. ولا يعود الكتاب المقدس كتاباً للقراءة للعلم، بل صك ميراث ومفاتيح خزائن لعطايا ومواهب إلهية، وفي كل عطية مطبوع اسم وختم الله وصورة شخصية ليسوع المسيح، صورة حية مهداة لك لتضعها في القلب إن كنت تصدقه وتأخذ وتملك، فتحييك وتجعلك أكثر شبهاً لله وتحركك وتدفعك وتشجعك لتدخل إلى عمق أكثر في هذه الشركة، في البر، في القداسة، في الحق.

* * *

كل الذين دخلوا في هذه الدائرة ــ دائرة الرسالة الإلهية ــ أي الكتاب المقدس، تعرَّفوا على الله وقبلوا منه دعوة دائمة للدخول إليه وانفتحت أمامهم خزانة عطايا الله ليأخذوا على قدر سعيهم في الأخذ، فاستوعبوا كل مقاصد الله، وتعرفوا

على إرادته الكاملة المرضية من نحوهم، وقليلاً قليلاً إذ حلَّ الله في أحشائهم دون أن يدروا تغيَّر حالهم وتبدَّل شكلهم وتجدد ذهنهم وتقووا من ضعفهم، وانطلقوا يبشرون بما رأوه وسمعوه وذاقوه، خبرات فوق خبرات، وهكذا تحول الإنجيل فيهم من رسالة إلى خزانة إلى شهادة، ثم بشارة بحب الله الفائق.

ولقد تجمعت شهادات الذين ذاقوا الرب واختبروه في مجال الكتاب المقدس على مدى الأجيال حتى صارت هذه الشهادة بحد ذاتها جزءاً لا يتجزأ من صميم رسالة الإنجيل الذي يؤكد لنا ربحنا المضمون، وتحرضنا على دخول هذا المجال واثقين من النهاية قبل البداية!

بصمات الكلمة على القلب:

حينما تقرأ الكتاب المقدس، كرسالة خاصة لك آتية إليك من الله، بوعي روحي والقلب يكون مفتوحاً ومُستقْبِلاً باستعداد الطاعة والفرح، تأخذ الكلمات مسارها إلى أعماق الضمير والوجدان الروحي، فتحرِّك وتشكِّل وتطبع تأثيرها الإلهي الفعال كبصمات حية مميزة لمشيئة الله ومسرته ينتعش لها الضمير وتسيل لها الدموع من فرط الإنطباع المريح الذي تتركه الكلمة على الإرادة والضمير، فتصيغ النفس صياغة جديدة أكثر قُرباً وأكثر شَبَهاً لإرادة الله ومسرته فتدفع الإنسان للشكر والإستزادة من التقدم نحو الله في نور الكلمة. وكأنما المسيح يمسك بيد الإنسان و يقوده ليعبر به مآزق الحياة وظلمات هذا الدهر حتى يوصله إلى قلب الله الآب.

صراع منهجين:

وهكذا إذا أخذنا الكلمة مأخذا عاماً بالفكر الحر المطلق فقط، فإنها تحرك العقل للفحص والسؤال ثم الشك. ولكن إذا أخذناها مأخذاً شخصياً بالروح

المنسحق ــ كما قلنا ــ كرسالة حية، فإنها تحرك القلب للتطهير والتقديس والنمو بكل تقوى وكل إيمان.

هذان المنهجان قائمان أمامك أيها القارىء، ولك أن تختار:

فإذا اخترت المنهج الأول دون الثاني، تتلقفك في الحال علوم الفحص والتحليل والنقد، وأخيراً ظلمة الشك.

أما إذا اخترت المنهج الثاني، فإنه تنبري لك خبرات الآباء والأنبياء والرسل والقديسين تزكي لك سيرة القداسة وشهادة الروح في عمق الضمير لتبني عليها حياتك الجديدة بإيمان اختباري، فتستطيع أن ترد على كل تشككات الفكر وعلوم النقد والتحليل من إيمانك واختبارك.

ولكن أخطر الأمور أن يبدأ الإنسان بالمنهج الأول، لأنه سر يعاً ما تنصدّ النفس عن علم لا عائد له ولا سند، وبهذا يصبح الكتاب المقدس ثقلاً على العقل وربما عدواً للضمير الذي لا يجد فيه راحته فيخافه ويحتقره و يتحاشاه، لأنه كلما اقترب منه يشعر باغترابه عن الحق، و بالتالي يشعر ببعد الله عنه!

أما إذا توفر الإنسان في بدء حياته على المنهج الثاني فإنه سيختبر كيف تُقْبِل النفس على الكتاب جائعة إليه، كخبز كل يوم ليومه، كلما أكلت منه عادت إليه أشد جوعاً، وكلما ارتوت بمائه الحي زاد تعطُّشها نحو الله وانطفأ عطشها نحو العالم. وكلما كثر تطلعها القلبي نحو مصيرها الأبدي؛ كلما انطبع نور وجه الله عليها كختم منير دون أن تشعر هي بشيء، فيراها الناس مضيئة، بينما لا ترى هي من ذاتها إلا ضعفها المحصور في حب الله!! وحينئذ تستطيع النفس أن تواجه باتساعها واستنارتها وحبها كل تحديات علم العالم وتشككه، وكل عنف عقل الإنسان عندما يضيق باتساع حب الله وتنازله في كتابه المقدس.

إذن، فمشكلة تحدّي العلم كمنهج يصارع العقل والمنطق والضمير عند تناول الكتاب المقدس هي مشكلة محلولة عندما يبدأ الإنسان بالروح لا بالحرف، بالخبرة قبل الدرس، بالرؤيا قبل السير، بالحب قبل التأديب.

* * *

ـ ٣ ـ

درجات دراسة الكتاب المقدس

□●□●□

سؤال وجواب:

سألني أحد الرهبان هذا السؤال:

ـ في أثناء قراءتى للكتاب المقدس مررت على طرق كثيرة تتجاذبني للقراءة فيه:

١ ـ المقارنة الشديدة بين رجال وحوادث العهد القديم و بين المسيح، يكاد يكون كلمة كلمة وحادثة حادثة، تنساق فيها النفس بشوق ولذة وراء اكتشاف التطابق.

٢ ـ تطبيق الكلام على النفس مباشرة فيكون من الله لي لألتصق به و ينير حياتى و يكشف عيوبي. وهذا فيه لذة روحية عالية. ولكن تضيع فيه المقارنة السابقة.

٣ ـ تطبيق الكلام على النفس مباشرة مع أخذ قوة الكلمة وفعاليتها من المسيح كمصدر ومن الأنبياء والرسل والقديسين كمنفذين ناجحين. وكأن الكلمة تأخذ مجراها لتحل فيَّ وتملكني.

٤ ـ الإلتفات إلى الشواهد تقود إلى موضوعات حية تتشعب في الإنجيل كله حيث فيها تتذوق النفس الحياة الأبدية والإتحاد بالله وتدخل إلى كنوز الله وملكوته، وفيها أنسى مواعيد الأكل والنوم. ولكن هذه الطريقة تحتاج إلى وقت كبير جداً

جداً.

أحب كل هذه الطرق وأنساق فيها بدون التفات إلى الزمن أو أي شيء. ولكن ما هو الأفضل بالنسبة لي؟ وهل ممكن الجمع بينها في قراءة روحية واحدة؟ مع ملاحظة أنني بطيء جداً، فلا أعرف السرعة في القراءة أو الصلاة... ولكن أحس من ورائها بنمو في الروح وبحب إلهي يزداد كل يوم.

الجواب:

كل قراءة من هذه القراءات ينفتح لها الذهن والوعي الروحي انفتاحاً خاصاً و يكون هذا الإنفتاح متوقفاً على عوامل داخلية أساسية:

الدرجة الأولى: فعندما يكون **العقل نشيطاً** تبدأ المقارنات وفهم الظروف والملابسات وتَطَابُق المواقف والأحداث مع شدة وضوح ارتباط أعمال الله. وهذه لا تخلو من **منفعة ولذة ذهنية**، ولكنها تضعف على ممر الزمن؛ ولا يصيب الروح منها إلا القليل إذا لم توصَّل إلى الدرجة الثانية.

الدرجة الثانية: وعندما يكون **الروح نشيطاً** أكثر من العقل فإنه يستلهم الحقيقة من وراء العقل بسرعة خاطفة من كل كلمة وكل حادثة دون تدخل كثير من العقل من حيث الربط والوصل والقياس... إلخ. وهذا يبهر الوعي الروحي و ينشِّط و يفرِّح الروح، ولكن يحتاج إلى المتابعة والمزيد، حتى ينفتح الوعي الروحي أكثر و يصير قادراً على الإنفعال بالكلمة انفعالاً مباشراً.

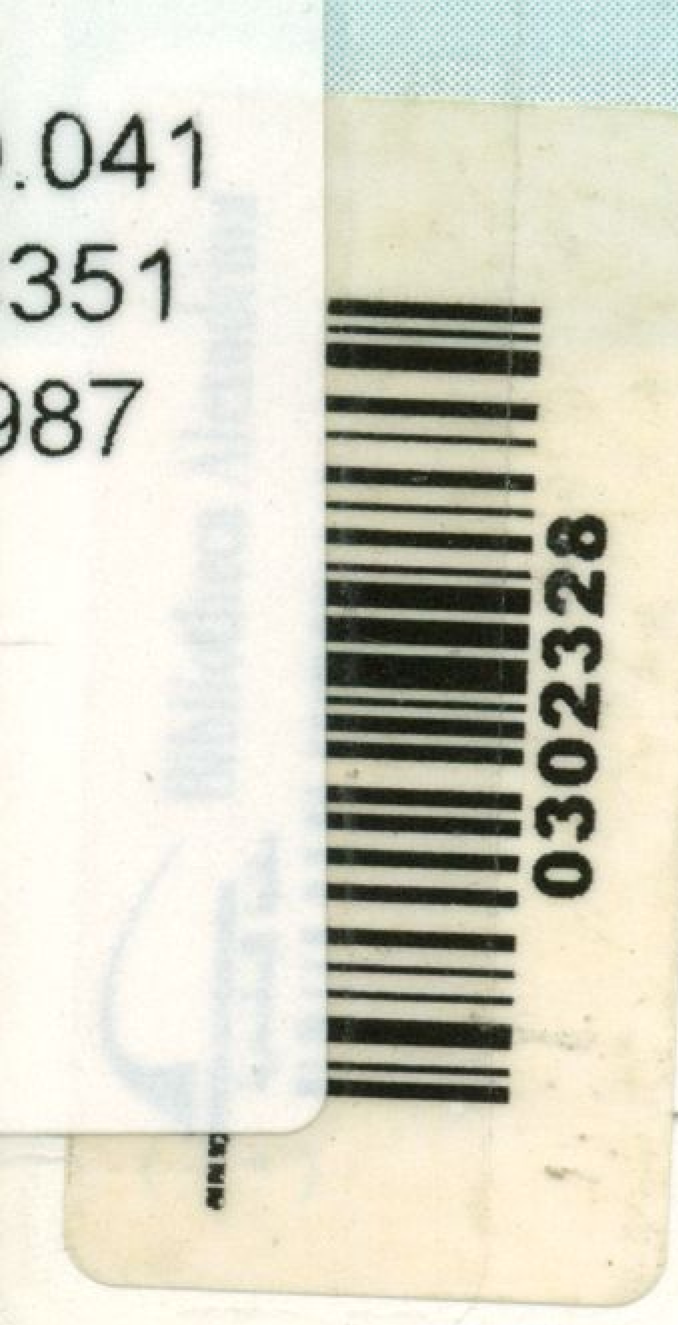
الدرجة الثالثة: وحينما يكون **وعي الروح نشيطاً جداً** والجسد بالتالي معزولاً إلى حد ما وغير متداخل لا بالحواس الفكرية ولا بالحواس الجسدية، تدخل الكلمة مباشرة، كروح وحياة، داخل الوعي الداخلي للإنسان الجديد فتغذيه وتنميه وتوصله أكثر فأكثر بمصدر الحياة، فيصير الوعي الروحي واسطة جديدة وقوية فوق العقل

لفهم كل شيء في الحياة فهماً جديداً روحياً.

لذلك فالتحكم في نوع القراءة يكاد يمتنع على الإنسان الروحي.

والحاصل أن الوضع الداخلي يفرض نفسه في نوع القراءة؛ ولكن التدرُّب على الدرجة الأولى يرفع الإنسان تلقائياً للدرجة الثانية، وبالمثابرة على الدرجة الثانية تنفتح أمام الإنسان الدرجة الثالثة.

حينما تقرأ الكتاب المقدس، كرسالة خاصة لك آتية إليك من الله، بوعي روحي والقلب يكون مفتوحاً ومُستقْبِلاً باستعداد الطاعة والفرح، تأخذ الكلمات مسارها إلى أعماق الضمير والوجدان الروحي، فتحرّك وتشكّل وتطبع تأثيرها الإلهي الفعال كبصمات حية مميزة لمشيئة الله ومسرته ينتعش لها الضمير وتسيل لها الدموع من فرط الإنطباع المريح الذي تتركه الكلمة على الإرادة والضمير، فتصيغ النفس صياغة جديدة أكثر قرباً وأكثر شَبَهاً لإرادة الله ومسرته فتدفع الإنسان للشكر والإستزادة من التقدم نحو الله في نور الكلمة. وكأنما المسيح يمسك بيد الإنسان و يقوده ليعبر به مآزق الحياة وظلمات هذا الدهر حتى يوصله إلى قلب الله الآب.



الثمن ٣٥ قرشاً